كتاب

الاخـــلاق

تأليف

الشيخ المحقق والامام المدقق وحيد عصره

وفريد دهره الشيخ الاكبر محي الدين

ابن عربي قدس الله سره

ونور مرقده وضريحه

آمين

وقد أشار الشيخ رضي الله عنه الى هذه الرسالة في الوصية الحادية والعشرين من كتاب الوصايا حيث يقول فيها (وصيه) وعليك بحسن الاخلاق باتيان مكارمها وتجنب سفسافها الى أن قال وقد ذكرنا ذلك في رسالة الاخلاق لنا كتبناها الى بعض اخواننا سنة احدى وتسعين وخمسمائة وهي جزء لطيف غريب في معناه فيه معاملة جميع الخلق بالخلق الحسن الذي يليق به

طبع على ذمة محمد أفندي هاشم الكتبي

ويباع عنده في دمشق والاستانة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيراً (اعلم) ان الانسان من بين سائر الحيوان ذو فكر وتمييز وهو أبداً يحب من الأمور أفضلها ومن المراتب أشرفها ومن المقتنيات أنفسها اذا لم يعدل عن التمييز في اختياره ولم يغلبه هواه في اتباع اغراضه وأولى مااختاره الانسان لنفسه ولم يقف دون بلوغ غايته ولم يرض بالتقصير عن نهايته تمامه وكماله ومن تمام الانسان وكماله ان يكون مرتاضاً بمكارم الاخلاق ومحاسنها ومتنزها عن مساويها ومقابحها آخذا في جميع أحواله بقوانين الفضائل عادلا في كل أفعاله عن طرق الرذائل فاذا كان ذلك كذلك كان واجبا على الانسان ان يجعل قصده اكتساب كل شيمة سليمة من المعائب

ويصرف همته الى اقتناء كل خيم كريم خالص من الشوائب وان يبذل جهده في اجتناب كل خصلة مكروهة ردية ويستفرغ وسعه في اطراح كل خلة مذمومة دنية حتى يحوز الكمال بتهذيب خلائقه ويكتسي حلل الجمال بدماثة شمائله ويباهي بحق أهل السؤدد والفخر ويلحق بالذرى من درجات النباهة والجد الا أن المبتدئ بطلب هذه المرتبة والراغب في بلوغ هذه المنزلة ربما خفيت عليه الخلال المستحسنة التي يعنيه تحريها ولم تتميز له من المستقبحة التي غرضه توقيها (فمن) أجل ذلك وجب ان نقول في الاخلاق قولا نبين ما الخلق وما علته وكم أنواعه وأقسامه وما المرضي منها المغبوط صاحبه والمتخلق به وما المشنوء منها الممقوت فاعله والمتوسم به ليسترشد بذلك من كانت له همة تسمو الى مباراة أهل الفضل ونفس أبية تنبو عن مساواة أهل الدناءة والنقص وتدل أيضاً على طريق الارتياض بالمحمود من أنواعه والتدرب به وتنكب المذموم منها وتجنبه حتى يصير المرتاض به دينا وعادة وسجية وطبعاً ليهتدي به من نشأ على الاخلاق السيئة وألفها وجرى على العادات الردية وأنس بها ونصف أيضا الانسان التام

المهذب الاخلاق والمحيط بجميع المناقب الجميلة وطريقته التي
يصل بها الى التمام وتحفظ عليه الكمال ليشتاق الى صورته
من تشوق الى الرتبة العليا ويحن الى احتذاء سيرته من
استشرف الى الغاية القصوى ٭ وقد ينتبه بما نذكره من كانت
له عيوب قد اشتبهت عليه وهو مع ذلك يظهر أنه في غاية
الكمال فان من هذه حاله اذا تكرر عليه ذكر الاخلاق
المكروهة تيقظ لما فيه من ذلك وأنف واجتهد في تركه والتنزه
عنه ٭ وكذلك اذا تصفح الاخلاق المحمودة من كان جامعا
لاكثرها عادماً لبعضها قدم الى التخلق بذلك البعض الذي
هو عادم له وتاقت نفسه الى الاحاطة بجميعها وقد ينتفع بما
نذكره أيضاً من كان في غاية الكمال فان المهذب الاخلاق الكامل
الآلات الجامع المحاسن اذا مر بسمعه ذكر الخلائق الجميلة
والمناقب النفيسة ورأى ان تلك هي عاداته وسجاياه كانت له
بذلك لذة عجيبة وفرحة مبهجة كما ان الممدوح يسر اذا ذكر
المادح نفسه ونشر فضائله وأيضاً فانه اذا وجد اخلاقه مدونة
في الكتب موصوفة بالحسن كان ذلك داعياً الى الاستمرار
على سيرته والاصرار على طريقته ٭ وهذا حين ابتدائنا بذكر

الاخلاق (فنقول) ان الخلق هو حال النفس بها يفعل الانسان أفعاله بلا روية ولا اختيار ، والخلق قد يكون في بعض الناس غريزة وطبعا وفي بعضهم لايكون الا بالرياضة والاجتهاد كالسخاء يوجد في كثير من الناس من غير رياضة ولا تعمل وكالشجاعة والحلم والعفة والعدل وغير ذلك من الاخلاق المحمودة . وكثير من الناس يوجد فيهم ذلك بالرياضة . ومنهم من يبقى على عادته ويجري على سيرته (فأما) الاخلاق المذمومة فانها موجودة في كثير من الناس كالبخل والجبن والظلم والشر . فان هذه العادات غالبة على أكثر الناس مالكة لهم . بل قلما يوجد في الناس من يخلو من خلق مكروه ويسلم من جميع العيوب ولكنهم يتفاضلون في ذلك وكذلك في الاخلاق المحمودة قد تختلف الناس ويتفاضلون الا ان المجبولين على الاخلاق الجميلة قليلون جداً (وأما) المجبولون على الاخلاق السيئة فأكثر الناس لان الغالب على طبيعة الانسان الشر . وذلك ان الانسان اذا استرسل مع طبعه ولم يستعمل الفكر ولا التمييز ولا الحياء ولا التحفظ كان الغالب عليه اخلاق البهائم لان الانسان انما تميز عن البهائم بالفكر

والتمييز ، فاذا لم يستعملهما كان مشاركا للبهائم في عاداتها والشهوات مستولية عليه والحياء غائب عنه والغضب يستفزه والسكينة غير حاضرة له والحرص والاحقاد ديدنه والشره لايفارقه . فالناس مطبوعون على الاخلاق الردية منقادون للشهوات الدنية . ولذلك وقع الافتقار الى الشرائع والسنن والسياسات المحمودة وعظم الانتفاع بالملوك الحسني السيرة ليردعوا الظالم عن ظلمه ويمنعوا الغاصب عن غصبه ويعاقبوا الفاجر على فجوره فيقمعوا الجائر حتى يعود الى الاعتدال في جميع أموره . فالاخلاق المكروهة في طباع الناس الا أن فيهم من يتظاهر بها وينقاد لها وهم شرار الناس وفيهم من ينتبه بجودة الفكر وقوة التمييز لقبحها فيأنف منها ويتصنع لاجتنابها وذلك يكون عن طبع كريم ونفس شريفة . وفيهم من لاينتبه لذلك الا أنه اذا نبه عليه أحس بقبحه فربما حمل نفسه على تركه وفيهم من اذا انتبه لما فيه من النقائص أو نبه عليها ورام العدول عنها تعذر عليه ذلك ولم يطاوعه طبعه وان كان مريداً للعدول عنها مجتهداً في ذلك وهذه الطائفة تحتاج أن ترشد الى طريق التدرب والتعمل للعادات المحمودة حتى يصير اليها على التدريج

ومن الناس من ينتبه للاخلاق الردية أو ينبه عليها فلا يحن الى تجنبها ولا تسمح نفسه بمفارقتها بل يؤثر الاصرار عليها مع علمه برداءتها وقبحها وهذه طائفة ليس الى تهذيبها طريق الا بالقهر والتخويف والعقوبة ان لم يردعها الترهيب (فاما الاخلاق المحمودة) فانها وان كانت في بعض الناس غريزة فليست في جميعهم وان الباقين قد يمكن أن يصيروا اليها بالتدرب والرياضة ويترقوا اليها بالاعتياد والالفة ومع هذا الحال فقد يكون في الناس من لا يقبل طبعه العادات الحسنة ولا الخلق الجميل وذلك يكون لرداءة جوهره وخبث عنصره وهذه الطائفة من جملة الاشرار الذين لا يرجى صلاحهم وكثير من الناس من يقبل كثيراً من الاخلاق المحمودة وينبو طبعه عن بعضها وليس يعد هذا شريراً ولكن رتبته في الخير بحسب محاسنه فاما العلة الموجبة لاختلاف الاخلاق وهي النفس فللنفس ثلاث قوى وهي تسمى أيضاً نفوساً ٠ وهي النفس الشهوانية والنفس الغضبية ٠ والنفس الناطقة وجميع الاخلاق تصدر عن هذه القوى فمنها ما يختص باحداهن ومنها ما يشترك فيه قوتان ومنها ما يشترك فيه القوى الثلاث ٠ ومن هذه القوى

ما يكون للانسان وغيره من الحيوان ومنها ما يختص به الانسان فقط (أما النفس الشهوانية) فهي للانسان ولسائر الحيوان وهي التي يكون بها جميع اللذات والشهوات الجسمانية كالاقدام الى المآكل والمشارب والمباضعة وهذه النفس قوية جداً متى لم يقهرها الانسان ويهذبها ملكته فاستولت عليه فاذا هي استولت عليه عسر تهذيبها وصعب قمعها وتذليلها فاذا تمكنت هذه النفس من الانسان وملكته وانقاد لها كان بالبهائم اشبه منه بالناس لان اغراضه ومطلوباته وهمته تصير أبداً مصروفة الى الشهوات واللذات فقط وهذه هي عادات البهائم ومن يكون بهذه الصفة يقل حياؤه ويكثر خرقه ويستوحش من أهل الفضل ويميل الى الخلوات وينقبض عن المجالس الحفلة ويبغض أهل العلم ويشنأ أهل الورع والنسك ويود أصحاب الفجور ويحب الفواحش ويكثر ذكرها ويلذ له استماعها ويسر بمعاشرة السفهاء ويغلب عليه الهزل وكثرة اللهو وقد يصير من هذه حاله الى الفجور وارتكاب الفواحش والتعرض للمحظورات وربما دعته محبة اللذات الى اكتساب الاموال من اقبح وجوهها وربما حملته نفسه على الغضب

والتلصص والخيانة وأخذ ماليس له بحق فان اللذات لاتتم
الا بالاموال والاعراض فحب اللذة اذا تعذرت عليه الاموال
من وجوهها جسرته شهوته على اكتسابها من غير وجهها
ومن تنتهي به شهواته الى هذا الحد فهو أسوأ الناس حالا
وهو من الاشرار الذين يخاف خبثهم ويستوحش منهم ويستروح
الى البعد عنهم ويصير واجبا على متولي السياسات قمعهم وتأديبهم
وابعادهم ونفيهم حتى لا يختلطون بالناس فان اختلاط من هذه
صفته بالناس مضرة لهم وخاصة لاحداثهم فان الحدث سريع
الانطباع ونفسه مجبولة على الميل الى الشهوات فاذا شاهد
غيره مرتكبا لها مستحسنا للانهماك فيها مال هو أيضاً الى
الاقتداء به والى مساعدة لذته وأما من ملك نفسه الشهوانية
وقهرها كان ضابطاً لنفسه عفيفاً في شهواته محتشماً من الفواحش
متوقيا من المحظورات محمود الطريقة في جميع مايتعلق باللذات
فالعلة الموجبة لاختلاف عادات الناس في شهواتهم ولذاتهم
وعفة بعضهم وفجور بعضهم هو اختلاف احوال النفس
الشهوانية فانها اذا كانت مهذبة مؤدبة كان صاحبها عفيفاً
ضابطاً لنفسه واذا كانت مهملة مرسلة مالكة لصاحبها كان

صاحبها فاجراً شريراً . واذا كانت متوسطة الحال كانت
رتبة صاحبها في العفة كرتبتها في التأدب . فمن أجل ذلك
وجب أن يؤدب الانسان نفسه الشهوانية ويهذبها حتى تصير
منقادة له ويكون هو مالكها فيستعملها في حاجاته التي
لاغنى عنها ويكفها عما لا حاجة له اليه من الشهوات
الردية واللذات الفاحشة (وأما النفس الغضبية) فيشترك فيها
أيضاً الانسان وسائر الحيوان وهي التي يكون بها الغضب
والجراءة ومحبة الغلبة وهذه النفس أقوى من النفس الشهوانية
وأضر بصاحبها اذا ملكته وانقاد لها فان الانسان اذا انقاد
للنفس الغضبية كثر غضبه وظهر خرقه واشتد حقده وعدم
حلمه ووقاره وقويت جراءته وأسرع عند الغضب الى الانتقام
والايقاع بمغضبه والوثوب على خصومه فأسرف في العقوبة
وزاد في التشفي فأكثر السب وأفحش فيه . فاذا استمرت
هذه العادات بالانسان كان بالسباع أشبه منه بالناس . وربما
حمل قوما على حمل السلاح . وربما أقدموا على القتل والجراح
وربما وثبوا بالسلاح على اخوانهم وأوليائهم وعبيدهم وخدمهم
عند الغضب من اليسير من الامور وربما غضب من هذه

حاله ولم يقدر على الانتقام من خصمه فيعود بالضرر والسب والالم على نفسه • فمنهم من يلطم وجهه وينتف لحيته ويعض يده ويسب نفسه ويذكر عرضه وأيضاً فان من تملكه النفس الغضبية يكون محباً للغلبة متوثباً على من آذاه مقدما على كل من ناواه طالباً للترأس من غير وجهه • فاذا لم يتمكن من الرياسة من وجهها توصل اليها بالحيل الخبيثة فاستعمل كل ما يمكنه من الشر وهذه الافعال تورط صاحبها وتوقعه في المهاوي والمهالك فان من وثب على الناس وثبوا عليه ومن خاصمهم خاصموه ومن أقدم عليهم اقدموا عليه ومن تشرر عليهم قصدوه بالشر وربما تسفه الانسان على خصمه وكان الخصم اسفه منه فان ناله بسوء قابله بذلك باكثر منه وقد يغلب على من هذه حاله الحسد والحقد والقحة واللجاج والجور وقد يحمل هؤلاء محبة الغلبة وطلب الرياسة على اكتساب الاموال من غير وجهها وأخذها بالغلبة والظلم وربما قتلوا على محبة الغلبة من يناوئهم وربما فعلوا ذلك من غير روية فيؤول الامر بهم الى البوار والاستئصال • فاما من ساس نفسه الغضبية وأدبها وقمعها كان رجلا حليما وقورا عادلا محمود الطريقة فالعلة الموجبة لاختلاف

عادات الناس في غيظهم وسفاهة بعض هو اختلاف أحوال النفس الغضبية اذا كانت مذللة مقهورة كان صاحبها حليما وقورا واذا كانت مهملة مستولية على صاحبها كان صاحبها غضوبا سفيهاً ظلوما غشوما واذا كانت متوسطة كان صاحبها متوسط الحال رتبته في الحلم كرتبة نفسه الغضبية حتى تتقاده فيملكها ويستعملها في المواضع التي يجب استعمالها فيها فان لهذه النفس فضائل محمودة وذلك لان الانفة من الامور الدنية ومحبة الرياسة الحقيقية وطلب المراتب العالية من الاخلاق المحمودة وهي في أفعال النفس الغضبية فاذا ملك هذه بالتأديب والتهذيب واستعملها في الامور الجميلة وكفها عن الافعال المكروهة كان حسن الحال محمود الطريقة (وأما النفس الناطقة) وهي التي بها تميز الانسان من جميع الحيوان وهي التي بها يكون الذكر والتمييز والفهم وهي التي بها شرف الانسان وعظمت همته فاعجب بنفسه وهي التي بها يستحسن المحاسن ويستقبح القبائح وبها يمكن الانسان أن يهذب قوتيه الباقيتين وهي الشهوانية والغضبية ويكفهما ويضبطهما وبها يفكر في عواقب الامور فيبادر باستدراكها في أوائلها ٠ ولهذه النفس أيضاً فضائل ورذائل

أما فضائلها فاكتساب العلوم والآداب وكف صاحبها عن الرذائل والفواحش وقهر النفسين الأخريين وتأديبهما وسياسة صاحبها في معاشه ومكسبه ومروءته وتجمله وحث صاحبها على فعل الخير والتودد والرقة وسلامة النية والحلم والحياء والنسك والعفة وطلب الرياسة من الوجوه الجميلة وأما رذائلها فالخبث والحيلة والخديعة والملق والمكر والحسد والتشرر والرياء وهذه النفس هي لجميع الناس الا أن منهم من تغلب عليه فضائلها فيستحسنها ويستعملها ومنهم من تغلب عليه رذائلها فيألفها ويستمر عليها ومنهم من يجتمع فيه بعض الفضائل وبعض الرذائل وهذه العادات قد تكون في كثير من الناس سجية وطبعاً لا بتكلف فأما المطبوع على العادات الجميلة فمنها ما يكون لقوة نفسه الناطقة عنصرياً وأما المطبوع على العادات المكروهة فلضعف نفسه الناطقة وسوء جوهره وأما الذي يجتمع فيه فضائل ورذائل فهو الذي تكون نفسه الناطقة متوسطة الحال وقد يكتسب أكثر الناس هذه العادات وجميع الاخلاق جميلها وقبيحها اكتسابا وذلك يكون بحسب منشئ الانسان وأخلاق من يحيط به ويشاهده ويقرب منه وبحسب رؤساء وقته ومن يشار اليه بالنباهة ويغبط على

رتبته فان الحدث الناشئ يكتسب الاخلاق ممن يكثر ملابسته ومخالطته ومن أبويه وأهله وعشيرته فاذا كان هؤلاء سيئي الاخلاق مذمومي الطريقة كان الحدث الناشئ بينهم أيضا سيء الاخلاق مكروه العادات واذا لحظ الحدث أيضاً أهل الرياسة ومن فوقه وغبطهم على مراتبهم آثر التشبه بهم والتخلق باخلاقهم . فاذا كانوا مهذبي الاخلاق حسني السيرة كان المتشبه بهم حسن الاخلاق مرضيّ الطريقة وان كانوا اشرارا جهالا خرج الغابط لهم السالك طريقهم شريراً جاهلا وهذه حال اخلاق أكثر الناس فان الجهل والشر والخبث والشره والحسد غالب عليهم والناس بالطبع يقتدي بعضهم ببعض ويحتذي التابع أبداً سيرة المتبوع واذا كان الغالب عليهم الشر والجهل كان واجبا ان لا يقتدي احداثهم وأولادهم واتباعهم بهم . فالعلة الموجبة لاختلاف قوة النفس اختلاف الناس في سياساتهم وفضائلهم وغلبة الخير والشر عليهم من اختلاف قوة النفس الناطقة فيهم اذا كانت خيرة فاضلة قاهرة للنفسين الباقيتين كان صاحبها خيراً عادلا حسن السيرة واذا كانت شريرة خبيثة مهملة للنفسين الاخريين كان صاحبها شريراً خبيثاً جاهلا .

فمن أجل ذلك وجب ان يعمل الانسان فكره ويميز اخلاقه
ويختار منها ما كان جيداً مستحسنا جميلا وينفي منها ما كان
مستنكراً قبيحاً ويحمل نفسه على التشبه بالاخيار ويتجنب
كل التجنب عادات الاشرار . فانه اذا فعل ذلك صار بالانسانية
متحققا وللرياسة الذاتية مستحقا (فأما أنواع الاخلاق
وأقسامها) وما المستحسن منها وما المستحب اعتياده ويعد
فضائل وما المستقبح منها وما المكروه ويعد نقائص ومعائب
فهي الانواع التي نحن واصفوها أما التي تعد فضائل فان منها
العفة وهي ضبط النفس عن الشهوات وقسرها على الاكتفاء
بما يقيم أود الجسد ويحفظ صحته واجتناب السرف والتقصير
في جميع اللذات وقصد الاعتدال وان يكون مايقتصر عليه
من الشهوات على الوجه المستحب المتفق على ارتضائه وفي
أوقات الحاجة التي لاغنى عنها وعلى القدر الذي لايحتاج الى
أكثر منه ولا يحبس النفس والقوة أقل منه . وهذه الحال
هي غاية العفة (ومنها) القناعة وهي الاقتصار على ما سنح
من العيش والرضى بما يسهل من المعاش وترك الحرص على
اكتساب الاموال وطلب المراتب العالية مع الرغبة في جميع

ذلك وايثاره والميل اليه وقهر النفس على ذلك والتمتع باليسير منه . وهذا الخلق مستحسن من أوساط الناس وأصاغرهم وأما الملوك والعظماء فليس ذلك مستحباً منهم ولا تعد القناعة من فضائلهم . (ومنها) التصون . وهو التحفظ من التبذل . فمن التصون التحفظ من الهزل القبيح ومخالطة أهله وحضور مجالسه وضبط اللسان من الفحش وذكر الخنا والقبيح والمزاح السخيف . وخاصة في المحافل ومجالس المحتشمين . ولا أبهة لمن يسرف في المزاح ويفحش فيه ومن التصون أيضاً الانقباض عن أدنياء الناس وأصاغرهم ومصادقتهم ومجالستهم والتحرز من المعايش الردية واكتساب الاموال من الوجوه الخسيسة والترفع عن مسئلة الحاجات للئام الناس وسفلتهم والتواضع لمن لاقدر له والاقلال من البروز من غير حاجة والتبذل بالجلوس في الاسواق وقوارع الطرق من غير اضطرار . فان الاكثار من ذلك مخل . وأعظم الناس قدراً عند الخلق من ظهر اسمه وخفي شخصه . وأما الحلم وهو ترك الانتقام عند شدة الغضب مع القدرة على ذلك وهذه محمودة مالم تؤد الى ثلم جاه أو فساد سياسة . وهي بالرؤساء

والملوك أحسن لانهم أقدر على الانتقام من مغضبيهم ولا يعد فضيلة حلم الصغير عن الكبير وان كان قادراً على مقابلته في الحال ، فانه وان أمسك فانما يعد ذلك خوفا لا حلما ومنها الوقار وهو الامساك عن فضول الكلام والعبث وكثرة الاشارة والحركة فيما يستغنى عن الحركة فيه وقلة الغضب والاصغاء عند الاستفهام والتوقف عند الجواب والتحفظ عن التسرع والمبادرة في جميع الامور ، ومن قبيل الوقار أيضاً الحياء ، وهو غض الطرف والانقباض عن الكلام حشمة للمستحى منه ، وهذه العادة محمودة مالم تكن عن عيّ ولا عجز ، ومنها الود وهي المحبة المعتدلة من غير اتباع الشهوة والود مستحسن من الانسان اذا كان وده لاهل الفضل والنبل وذوي الوقار والابهة والمتميزين من الناس ، وأما التودد الى أراذل الناس وأصاغرهم والاحداث والنسوان وأهل الخلاعة فمكروه جداً وأحسن الود ما انتجه بين متآلفين مناسبة الفضائل ، وهو أوثق الود وأثبته وأما ما كان ابتداؤه اجتماعا على هزل اولطلب لذة فليس هو محموداً وليس بباق ولا ثابت ، ومنها الرحمة وهو خلق مركب من

الود والجزع . والرحمة لا تكون الا لمن تظهر منه لراحمه
خلة مكروهة اما نقيصة واما محنة عارضة . فالرحمة هي محبة
للمرحوم مع جزع من الحال التي من أجلها رحم . وهذه
الحال مستحسنة مالم تخرج بصاحبها عن العدل ولم تنته به الى
الجور والى فساد السياسة فليس بمحمود رحمة القاتل عند القود
والجاني عند القصاص . ومنها الوفاء وهو الصبر على مايبذله
الانسان من نفسه ويرهن به لسانه والخروج مما يضمنه وان
كان مجحفا به فليس يعد وفيا من لم يلحقه بوفائه أذية وان قلت .
وكلما أضر به الدخول تحت مايحكم به على نفسه كان أبلغ في
الوفاء . وهذا الخلق محمود ينتفع به جميع الناس . فان من
عرف بالوفاء كان مقبول القول عظيم الجاه الا أن انتفاع
الملوك بهذا الخلق أكثر وحاجتهم اليه أشد . وانه متى عرف
منهم قلة الوفاء لم يوثق بمواعيدهم ولم تتم اغراضهم ولم يسكن
اليهم جندهم واعوانهم . ومنها أداء الامانة . وهو التعفف عما
يتصرف الانسان فيه من مال وغيره وما يوثق به وعليه من
الاعراض والحرم مع القدرة عليه ورد مايستودع الى مودعه .
ومنها كتمان السر وهذا الخلق مركب من الوقار وأداء

الامانة ٠ فان اخراج السر من فضول الكلام ٠ وليس بوقور
من تكلم بالفضول ٠ وأيضا فكما أن من استودع مالا
فأخرجه الى غير مودعه فقد خفر الامانة كذلك من استودع
سراً فأخرجه الى غير صاحبه فقد خفر الامانة ٠ وكتمان السر
محمود من جميع الناس وخاصة من يصحب السلطان فان
اخراجه اسراره مع أنه قبيح يؤدي الى ضرر عظيم يدخل
عليه من سلطانه ٠ ومنها التواضع وهو ترك الترأس واظهار
الخمول وكراهية التعاظم والزيادة في الاكرام وان يتجنب
الانسان المباهاة بما فيه من الفضائل والمفاخرة بالجاه والمال
وان يحترز من الاعجاب والكبر ٠ وليس يكون حسن
التواضع الا في أكابر الناس ورؤسائهم وأهل الفضل والعلم
وأما سوى هؤلاء فليس يكونون متواضعين لان الضعة هي
محلهم ورتبتهم فهم غير متضعين لها ٠ ومنها البشر وهو اظهار
السرور بمن يلقاه الانسان من اخوانه وأودائه وأصحابه
وأوليائه ومعارفه والتبسم عند اللقاء وهذا الخلق مستحسن
من جميع الناس وهو من الملوك والعظماء أحسن ٠ فان
البشر في الملوك يتألف به قلوب الرعية والاعوان والحاشية

ويزداد به تحبباً اليهم • وليس سعيداً من الملوك من كان
متبغضاً الى رعيته • وربما أدى ذلك الى فساد أمره وزوال
ملكه • ومنها صدق اللهجة وهو الاخبار عن الشيء على
ماهو به • وهذا الخلق مستحسن مالم يؤد الى ضرر مجحف •
فانه ليس بمستحسن صدق الانسان ان سئل عن فاحشة كان
ارتكبها • فانه لايفي حسن صدقه بما يلحقه في ذلك من العار
والمنقصة الباقية اللازمة • وكذا ليس يحسن صدقه متى سئل
عن مستجير استجاره فاخفاه ولا ان سئل عن جناية متى
صدق عنها عوقب عليها بعقوبة مؤلمة • والصادق مستحسن
من جميع الناس وهو من الملوك والعظماء أحسن • بل
لايسعهم الكذب مالم يعد الصدق عليهم بضرر • ومنها
سلامة النية وهو اعتقاد الخير لجميع الناس وتجنب الخبث
والغيلة والمكر والخديعة • وهذا الخلق محمود من جميع الناس
الا أنه ليس يصلح للملوك التخلق به دائماً ولا يتم الملك الا باستعمال
المكر والختل والاغتيال مع الاعداء ولكن لا يحسن بهم استعماله
مع أوليائهم وأصفيائهم وأهل طاعتهم • ومنها السخاء وهو
بذل المال من غير مسئلة ولا استحقاق وهذا الفعل مستحسن

مالم ينته الى السرف والتبذير فان بذل جميع مايملك لمن لا يستحقه لم يسم سخياً بل يسمى مبذراً مضيعاً والسخاء في سائر الناس فضيلة مستحسنة فاما في الملوك فأمر واجب لان البخل يؤدي الى الضرر العظيم في ملكهم والسخاء والبذل يرتهن به قلوب الرعية والجند والاعوان فيعظم الانتفاع به ومنها الشجاعة وهو الاقدام على المكاره والمهالك عند الحاجة الى ذلك وثبات الجاش عند المخاوف والاستهانة بالموت وهذا الخلق مستحسن من جميع الناس وهو بالملوك وأعوانهم اليق وأحسن بل ليس بمستحق للملك من عدم هذه الخلة واكثر الناس اضطراراً وأحوجهم الى اقتحام الغمرات هم الملوك فالشجاعة من اخلاقهم الخاصة بهم • ومنها المنازعة وهو منازعة النفس في التشبه بالغير فيما يراه له وهو يرغب فيه لنفسه والاجتهاد في الترقي الى درجة أعلا من درجته وهذا الخلق محمود اذا كانت المنافسة في الفضائل والمراتب العالية وما يكسب مجداً وسؤدداً فاما في غير ذلك من اتباع الشهوات والمباهاة باللذات والزينة والبزة فمكروه جداً • ومنها الصبر عند الشدة وهذا الخلق مركب من الوقار والشجاعة ومستحسن جداً مالم يكن الجزع نافعاً ولا الحزن

والقلق مجديا ولا الحيلة والاجتهاد دافعة ضرر تلك الحالة ٠ وما أقبح الجزع اذا لم يكن مفيداً ٠ ومنها عظمة الهمة وهو استصغار مادون النهاية من معالي الامور وطلب المراتب السامية واستحقار مايجود به الانسان عند العطية والاستخفاف باوساط الامور وطلب الغايات والتهاون بما يملكه وبذل ما يمكنه لمن يسأله من غير امتنان ولا اعتداد به وهذا الخلق من اخلاق الملوك خاصة وقد يحسن بالرؤساء والعظماء ومن تسمو نفسه الى مراتبهم ومن عظم الهمة الانفة والحمية والغيرة ٠ والانفة هو نبو النفس عن الامور الدنية والحمية والغيرة جميعاً هما الغضب عند الاحساس بالنقص ٠ وانما يلحق الانسان الغيرة على الحرم لان في التعرض لهن عاراً ومنقصة فان المتعرض للحرم مهتضم لصاحبهن ومتصرف في حق له والاهتضام نقيصة ومن عظم الهمة الانفة من الاهتضام ومن دخول النقص وهذا الخلق مستحسن من جميع الناس ٠ ومنها العدل وهو التوسط اللازم للاستواء وهو استعمال الامور في مواضعها وأوقاتها ووجوهها ومقاديرها من غير سرف ولا تقصير ولا تقديم ولا تأخير ٠ (فاما الاخلاق الردية) التي تعد

نقائص ومعايب فان منها الفجور وهو الانهماك في
الشهوات والاستكثار منها والتوفر على اللذات والادمان
عليها وارتكاب الفواحش والمجاهرة بها وبالجملة السرف
في جميع الشهوات وهذا الخلق أبداً يهدم الحياء ويذهب
ماء الوجه ويخرق حجاب الحشمة • ومنها الشره وهو
الحرص على اكتساب الاموال وجمعها وطلبها من كل وجه
وان قبح التعسف في اكتسابها والمكالبة عليها والاستكثار
من القنية وادخار الاعراض • وهذا الخلق مكروه في جميع
الناس الا من الملوك فان كثرة الاموال والذخائر والاعراض
تعين على الملك وتزين الملوك وتزيدهم هيبة في نفوس رعيتهم
وأعوانهم وأعاديهم وأضدادهم • ومنها التبذل وهو اطراح
الحشمة وترك التحفظ عن الهزل واللهو ومخالطة السفهاء وحضور
مجالس السخف والهزل والفواحش والتنوه بالخنا وذكر
الاعراض والمزح والجلوس في الاسواق وعلى قوارع الطرق
والتكسب بالمعاش الردي والتواضع للسفلة وهذا الخلق
قبيح بجميع الناس • ومنها السفه وهو ضد الحلم وهو سرعة
الغضب والطيش من يسير الامور والمبادرة في البطش والايقاع

بالمؤذي والسرف في العقوبه واظهار الجزع من أدنى ضرر
والسب الفاحش وهذا الخلق مستقبح من كل أحد الا أنه
من الملوك والرؤساء أقبح . ومنها الخرق وهو كثرة الكلام
والتحرك من غير حاجة وشدة الضحك والمبادرة الى الامور
من غير توقف وسرعة الجواب وهذا الخلق مستقبح من كل
أحد وهو باهل العلم وذوي النباهة أقبح ومن قبيل الخرق
القحة وهو قلة الاحتشام لمن يجب احتشامه والمجاهرة بالجوابات
الفظة المستشنعة . وهذا الخلق مكروه وخاصة بذوي الوقار
ومنها العشق وهو افراط الحب والسرف فيه وهذا الخلق
مكروه على جميع الاحوال إلا ان أقبحه وأشره ما كان مصروفا
الى طلب اللذة واتباع الشهوة الردية وقد يحمل صاحبه على
الفجور وارتكاب الفواحش وكثرة التبذل وقلة الحياء ويكسبه
عادات ردية وهو بكل أحد قبيح الا أنه بالاحداث والمترفهين
والمتنعمين أقل قبحا . ومنها القساوة وهو خلق مركب من
البغض والشجاعة والقساوة هو التهاون بما يلحق الغير من
الالم والاذى وهذا الخلق مكروه من كل أحد الا من الجندي
وأصحاب السلاح والمتولين الحروب فان ذلك غير مكروه

منهم اذا كان في موضعه . ومنها الغدر وهو الرجوع عما يبذله الانسان من نفسه ويضمن الوفاء به وهذا الخلق مستقبح وان كان لصاحبه فيه مصلحة ومنفعة وهو بالملوك والرؤساء أقبح وبهم أضر فان عرف من الملك الغدر لم يسكن اليه أحد ولم يثق به واذا لم يسكن اليه فسد نظام ملكه . ومنها الخيانة وهو الاستبداد بما يؤتمن الانسان عليه من الاموال والاعراض والحرم وتملك ما يستودع وجاحدة مودعه ومن الخيانة ايضاً طي الاخبار اذا بدت مصلحة لتأديتها وتحريف الرسائل اذا تحملها وصرفها عن وجهها وهذا الخلق أعني الخيانة مكروه من جميع الناس يثلم الجاه ويقطع وجوه المعايش . ومنها افشاء السر . وهذا الخلق مركب من الخرق والخيانة فانه ليس بوقور من لم يضبط لسانه ولم يتسع صدره لحفظ ما يستسر به . والسر أحد الودائع وافشاؤه نقيصة على صاحبه فالمفشي للسر خائن . وهذا الخلق قبيح جداً وخاصة ممن يصحب السلاطين ويداخلهم . ومن قبيل افشاء السر النميمة وهو ان يبلغ انساناً عن آخر قولا مكروها وهذا الخلق قبيح جداً وان لم يستسر أيضا بما يسمعه أو يبلغه فنقله الى من

يكرهه قبيح لان في ذلك ايقاع وحشة بين المبلغ والمبلغ عنه وذلك غاية التشرر . ومنها الكبر وهو استعظام الانسان بنفسه واستحسان مافيه من الفضائل والاستهانة بالناس واستصغارهم والترفع على من يجب التواضع له . وهذا الخلق مكروه ضار لصاحبه لان من أعجبته نفسه لم يستزد من اكتساب الأدب ومن لم يستزد بقي عليه نقصه ، فان الانسان ليس يخلو من النقص وقلما ينتهي الى غاية الكمال . وأيضا فان هذا الفعل يبغضه الى الناس ومن أبغضه الناس ساءت حاله . ومنها العبوس وهو التقطيب عند اللقاء وقلة التبسم واظهار الكراهية وهذا الخلق مركب من الكبر وغلظ الطبع فان قلة البشاشة هي الاستهانة بالناس والاستهانة بالناس تكون من الاعجاب والكبر وقلة التبسم أيضاً وخاصة عند لقاء الاخوان يكون من غلظ الطبع وهذا الخلق مستقبح وخاصة بالرؤساء والافاضل . ومنها الكذب وهو الاخبار عن الشيء بخلاف ماهو عليه . وهذا الخلق مكروه مالم يكن لدفع مضرة لايمكن ان تدفع الا به واجترار نفع لاغنى عنه ولا يوصل اليه الا به . فان الكذب عند ذلك ليس بمستقبح

وانما يستقبح الكذب اذا كان عبثاً ولنفع يسير لاخطر له لايفي
بقباحة الكذب والقبح بالملوك والرؤساء أكثر لان اليسير
من النقص يشينهم . ومنها الخبث . وهو اضمار الشر للغير
واظهار الخيرله واستعمال الحيلة والمكر والخديعة في المعاملات
وهذا الخلق مكروه من جميع الناس الا من الملوك والرؤساء
فانهم اليه مضطرون . واستعمالهم اياه مع اضدادهم واعدائهم
لايستقبح . فاما مع أوليائهم وأصحابهم فانه غير مستحسن .
ومن قبيل الخبث الحقد . وهو اضمار الشر للجاني اذا لم
يتمكن من الانتقام منه فاخفى تلك الاحقاد الى وقت امكان
الفرصة وهذا الخلق من أخلاق الاشرار وهو مذموم
جداً . ومنها البخل . وهو منع المسترفد مع القدرة على رفده
وهذا الخلق مكروه من جميع الناس الا أنه من الدنساء كمال
وأما سائر الناس فان البخل يشينهم وخاصة الملوك والعظماء
فان البخل يغض منهم أكثر مما يغض من الرعية والعوام
ويقدح في ملكهم لانه يقطع الاطماع منهم ويبغضهم الى
رعيتهم . ومنها الجبن وهو الجزع عند المخاوف والاحجام عما
تحذر عاقبته ولا تؤمن مغبته وهذا الخلق مكروه من جميع

الناس الا أنه بالملوك والجند وأصحاب الحروب أضر . ومنها الحسد وهو التألم بما يراه الانسان لغيره من الخير وما يجده فيه من الفضائل والاجتهاد في اعدام ذلك الغير ماهو له . وهذا الخلق مكروه وقبيح بكل أحد . ومنها الجزع عند الشدة . وهذا الخلق مركب من الخرق والجبن . وهو يستقبح اذا لم يكن مجديا ولا مفيداً فأما اظهار الجزع لتمحل حيلة بذلك عند الوقوع في الشدة واستغاثة مغيث أو اجتلاب معين فيما تغني فيه المعاونة فغير مكروه ولا يعد نقيصة . ومنها صغر الهمة . وهو ضعف النفس عن طلب المراتب العالية وقصور الامل عن بلوغ الغايات واستكثار اليسير من الفضائل واستعظام القليل من العطايا والاعتداد به والرضى باوساط الأمور وأصاغرها وهذا الخلق قبيح بكل أحد . وهو بالملوك أقبح بل ليس يستحق الملك من صغرت همته . ومنها الجور وهو الخروج عن الاعتدال في جميع الأمور والسرف والتقصير وأخذ الاموال من غير وجهها والمطالبة بما لا يجب من الحقوق وفعل الاشياء في غير مواضعها ولا أوقاتها ولا على القدر الذي يجب وعلى الوجه الذي يجب (ومن الاخلاق)

ماهو في بعض الناس فضيلة وفي بعضهم رذيلة . فمنها حب الكرامة وهو ان يسر الانسان بالتعظيم والتبجيل والمقابلة بالمديح والثناء الجميل . وهذا الخلق محمود في الاحداث والصبيان لان محبة الكرامة تحثهم على اكتساب الفضائل . وذلك ان الحدث والصبي اذا مدح على فضيلة ترى فيه كان ذلك داعياً له الى الازدياد من الفضائل . وأما الافاضل من الناس فان ذلك يعد منهم نقيصة لان الانسان انما يمدح على الفضيلة اذا كانت مستغربة منه واذا كان من أهل الفضل فليس ينبغي ان يسر بان يستغرب ما يظهر منه من الفضائل وكذلك الاكرام والتبجيل اذا كان زائداً على استحقاقه فانه يجري مجرى الملق والسرور بالملق غير محمود لانه من جنس الخديعة . ومنها حب الزينة وهو التصنع بحسن البزة والركوب والآلات وكثرة الخدم والحشم . وهذا مستحسن من الملوك والعظماء والاحداث والظرفاء والمتنعمين والنساء . وأما الرهبان والشيوخ وأهل العلم وخاصة الخطباء والواعظين ورؤساء الدين فان الزينة والتصنع مستقبح منهم . والمستحسن منهم لبس الشعر والخشن والمشي والحفاء ولزوم الكنائس وحبهم

وكراهية التنعم . ومنها المجازاة على المدح . وهو مجازاة من يمدح الانسان ويشكره في المجالس والمحافل . وهذا الخلق مستحسن من الملوك والرؤساء لان ذلك يدعو الناس الى مدحهم ويكسب الممدوح ذكراً جميلا يبقى على الدهر ومن فضائل الملوك والرؤساء بقاء ذكرهم الجميل . فاما محبتهم سماع المدح مواجهة فذلك غير مستحب لانه من جنس الملق وحب الملق مكروه لانه من قبيل الخديعة . وأما ايثارهم انتشار ذكرهم ومدحهم وتداول الناس له وبقاءه بعدهم فان ذلك محمود منهم . فمجازاة المادح مستحسنة من الملوك ومنعهم مستقبح وضار لان ذلك يدعو الى ذمهم . وذمهم يبقى أيضاً على الدهر فينشر لهم ذكراً قبيحاً وذلك مكروه للملوك والرؤساء . وأما أصاغر الناس فمحبتهم جزاء المادح غير محمودة فانه اذا مدح الدنيء من الناس فانما يخدعه فاذا أجازه اعتقد أنه استرق منه تلك الجائزة . وكثير من الناس اذا مدحوا بما ليس فيهم يبادرون الى مجازاة المادح فيكونون قد وضعوا الشيء في غير موضعه وهم اذا صرفوا ذلك الشيء الى الضعفاء وأهل المسكنة كان أجمل بهم واليق . ومنها الزهد . وهو قلة الرغبة في الاموال

والاعراض والادخار والقنية وايثار القناعة بما يقيم الرمق والاستخفاف بالدنيا ومحاسنها ولذاتها وقلة الاكتراث بالمراتب العالية واستصغار الملوك وممالكهم وأرباب الاموال وأموالهم وهذا الخلق مستحسن جداً ولكن من العلماء والرهبان ورؤساء الدين والخطباء والواعظين ومن يرغب الناس في المعاد والبقاء بعد الموت . وأما الملوك والعظماء فان ذلك غير مستحسن منهم ولا لائق بهم لان الملك اذا أظهر الزهد فقد صار ناقصاً لان ملكه لا يتم الا باحتشاد الاموال والاعراض وادخارها ليذب بها عن ملكه وصار معدوداً من جملة النقص من الملوك الحائدين عن طريق السياسة فهذه الاقسام التي ذكرناها هي أخلاق جميع الناس أما المحمود منها المعدود فضائل فقلما تجتمع كلها في انسان واحد . وأما المذموم منها المعدود نقائص ومعايب فقلما يوجد انسان يخلو من جميعها حتى لا يكون فيه خلق مكروه وخاصة من لم يرض نفسه ويؤدبها فان لم يتعمل لضبط نفسه ويتفقد من عيوبه لم يخل من عيوب كثيرة وان لم يحس بها ولم يفطن لها فان كان الامر على ماذكرنا كان الاجدر بالانسان أن يتفقد أخلاقه ويتأمل عيوبه ويجتهد في اصلاحها وينفيها

عن نفسه ويتبع الاخلاق المحمودة ويحمل نفسه على اعتيادها والتخلق بها فان الناس انما يتفاضلون على الحقيقة بفضائلهم لا كما يعتقد الجهال والعامة أنهم يتفاضلون باحوالهم وأموالهم وكثرة الذخائر والاعراض فان أكثر الناس انما يتفاخرون بالذخائر والاموال والآلات ويعظمون ابداً الاغنياء وذوي الاحوال ولا يترتب بعضهم على بعض الا بكثرة الاموال وبالجاه المكتسب بالمال وليس كثرة الاموال مما تتفاضل بها أحوال الناس فاما نفوسهم فليس تكون أفضل من نفوس غيرهم بكثرة الاموال وذلك أن الفاجر السفيه الجاهل الشرير وان حوى أموالا عظيمة فليس يكون أفضل من الضعيف الحكيم العالم الخبير وان كان فقيراً بل انما يكون بكثرة الاموال أغنى منه فاما في الفضل فليس يكون أحد أفضل من أحد الا بكثرة الفضائل فقط . فان اجتمع للانسان مع أخلاقه الجميلة والعادات المتحسنة الغنى والثروة فلعمري إنه يكون أحسن حالا من الفاضل المقتر لانه من سعادات الانسان أيضاً وخاصة اذا كان فاضلا عادلا عفيفا وأنه يصرف ماله في وجوهه وينفقه في حقوقه ويتفقد به من يجب تفقده ويسعف به أهل المسكنة ولا يقعد عما يجب

فارق صاحبه سقطت منزلة صاحبه من نفوس الناس وساوى العامة والسوقة لانه اذا رأس بالمال فالمعظم له هو ماله لانفسه فاذا زال ذلك المال لم يبق له شيء يعظم من أجله • وليس كذلك الفاضل النفس المهذب الاخلاق فان هذا رياسته بفضائله وفضائله غير مفارقة له فهو رئيس ما دام ومعظم لذاته لا لشيء من خارج ولان الراغب في سياسة نفسه المؤثر تهذيب أخلاقه اذا نبه على خلق مذموم يجده في نفسه وأحب اجتنابه ربما صعب الانتقال عنه من أول وهلة • وربما لم ينل التخلص منه ولم يطاوعه طبعه وربما استحسن أيضا خلقا محموداً لا يجده لنفسه وآثر التخلق به ولم تستجب له عادته ولم يصل الى مراده فوجب ان يرسم للراغبين في السياسة المحمودة طرق يتدربون بها ويتدرجون فيها حتى ينتهوا الى مرادهم من اعتياد الاخلاق الجميلة والانطباع بها وتجنب الاخلاق القبيحة والتفرغ منها (فنذكر) من أجل ذلك طريق الارتياض بالاخلاق والتعمل لاعتيادها وقد ذكرنا فيما تقدم ان سبب اختلاف الاخلاق في الناس هو اختلاف قوى النفس الثلاث فيهم • وهي الشهوانية • والغضبية • والناطقة وان

ملاك الاخلاق هو تذليل الشهوانية منها والغضبية وتمييز عادات النفس الناطقة واستعمال المحمود من أفعالها وطريق التدرج لاستعمال العادات الجميلة والعدول عن العادات المستقبحة هو التدرج في تذليل هاتين القوتين . (أما النفس الشهوانية) فالطريق الى قمعها ان يتذكر الانسان في وقت شهواته وعند شدة القدوم الى لذاته انه يريد تذليل نفسه الشهوانية فيعدل عما تاقت نفسه اليه من الشهوة الردية الى ما هو مستحسن من جنس تلك الشهوة متفق على ارتضائه فيقتصر عليه فان بذلك الفعل تنكسر شهوته ثم يملها ويمدها فان سكنت وإلا عاود الفعل من الوجه المستحسن فانه اذا فعل ذلك وتكرر فعله كفت النفس وان استمر على هذه الحالة الفت النفس هذه العادة وأنست بها واستوحشت مما سواها (وينبغي) لمن أراد قمع نفسه الشهوانية أن يكثر من مجالسة الزهاد والرهبان والنساك وأهل الورع والواعظين ويلازم مجالسة الرؤساء وأهل العلم فان الرؤساء وخاصة الرؤساء الذين يعظمون من كان معروفا بالعفة ويستزرون من كان فاجراً متهتكا وملازمته لهذه المجالس تضطره الى التصون والتعفف والتجمل لأولئك لئلا يستزروه ويغضوا

منه وليلحق برتبة من يعظم في المحافل (وينبغي) له أيضاً أن يديم النظر في كتب الاخلاق والسياسة وأخبار الزهاد والرهبان النساك وأهل الورع ويجب عليه ان يتجنب مجالس الخلعاء والسفهاء والمتهتكين ومن يكثر الهزل واللعب واكثر ما يجب عليه تجنب السكر فان السكر من الشراب يثير نفسه الشهوانية ويقويها ويحملها على التهتك وارتكاب الفواحش والمجاهرة بها وذلك ان الانسان انما يرتدع عن القبائح بالعقل والتمييز فاذا سكر عدم ذلك الذي كان يردعه عن الفعل القبيح فلا يبالي أن يرتكب كل ما كان يتجنبه في صحوه فأولى الاسباب لمن طلب العفة هجر الشراب بالجملة وان لم يمكنه فليقتصر على اليسير منه ويكون في الخلوات أو مع من لا يحتشمه ويتجنب مجالس المجاهرين بالشراب والسكر والخلاعة ولا يظن انه ان حضر تلك المجالس واقتصر على اليسير من الشراب لم يستضر به فان هذا غلط وذلك أن من حضر مجالس الشراب ليس تنقاد له نفسه الى القناعة بيسير الشراب بل ان حضر مجالس الشراب وكان في غاية العفة تاركا للشراب متمسكا بالورع حملته شهوته على التشبه باهل المجالس وتاقت نفسه

الى القمل وما هو أكثر من ذلك وتهتك بعد الستر والصيانة فسيمة أحوال من طالب العفة عدم حضور مجالس الشراب ومخالطة أهلها والاستكثار من معاشرتهم (وينبغي) لمن أراد قمع نفسه الشهوانية أن يقل من استماع السماع وخاصة النسوان والشابات منهن المتصنعات فان للسماع قوة عظيمة فى اثارة الشهوة فاذا انضاف الى ذلك أن تكون المسمعة مشتهاة متعلمة لاستمالة العيون اليها اجتمع على السماع حوادث كثيرة فربما لم يستطع دفع جميعها عن نفسه والأولى لمن هم بقهر الشهوة أن يجنب السماع وان لم يكن منه بد ولم تستجب نفسه الى هجره بالكلية فليقتصر على استماعه من الرجال ومن لا مطمع للشهوة فيه والاقلال منه خير أو صون المتعفف . فاما الطعام فينبغى ان يعلم ان غايته هو الشبع لدفع ألم الجوع فخير الطعام ورديه جميعاً مشبعان فليس للمبالغة فى تجويد الطعام كبير حظ والاولى هو التوسط فى أنواع المآكل وان يكون فى الجنس الذى نشأ عليه الانسان واعتاده والفه على ان الشهوة الطعام والنهم فيه وان كان من الاخلاق ادية فهو أسهلها وأهونها وليس يكسب صاحبها من العار

مايكسبه محبة الشراب والمباضعة ومعاشرة النسوان ومصاحبة
الاحداث المتهيئين للفواحش فان ذلك فى غاية القبح وشهوة
المأكل أقل قبحا منـه وأخف على فاعله وهو مع ذلك قبيح
والاستهتار به وكثرة النهم والشره اليـه مكروه وطريق
التدرج الى الاقتصاد فى الطعام هو ان يبادر ذو الشهوة الى
أى شيء وجده من المأكل فان كان المشتهي الذى تاقت نفسه
اليه حلواً فالى أي حلاوة وجـدها وان كان غـير ذلك فالى
مايشابهه في الطعم فانه اذا تناول من الطعام مايشبه ذلك المشتهى
فى الطعم فان شهوته تسكن ونفسه تكف (وينبغى) لمن أحب
العفة أن يكون أبداً متيقظا ذاكرا لما يلحق الفاجر والنهم والشره
والمتهتك من القباحة والعار ويجعل ذلك ديدنه وشعاره
فان نفسه تبغض الشـهوات وتشتاق الى التعفف والقناعـة
وتطرب عند العدول عن الفواحش مع القدرة عليها وترتاح
لما ينشر عنها ويبلغها عن الناس من الثناء الجميل على صاحبها فهذا
الذي ذكرنا هو طريق رياضـة النفس الشهوانيـة وتذليلها
وقمعها وهو طريق الارتياض بالعادات المحمودة المرضيـة فيما
يتعلق بالشهوات واللذات فاما النفس الغضبية فان الطريق فى

قمها وتذليلها هو أن يصرف الانسان همته الى ان يتفقد السفهاء الذين يسرع اليهم الغضب فى أوقات طيشهم وحدتهم وتسفههم على خصومهم وعقوبتهم لخدمهم وعبيدهم فانه يشاهد منهم منظراً شنيعا يأنف منه الخاص والعام فان تذكر ماشاهد فى أوقات غضبه وعند جنايات خدمه وعبيده وعند ذنوب اخوانه وأوداته وفى جميع محاوراته ومعاملاته فانه اذا تذكر ما كان استقبحه من السفهاء انكسرت بذلك سورة غضبه واحجم عماهم بالاقدام عليه من السب والوثوب فان لم يكف بالكلية اقصر ولو عن غاية الفحش (وينبغي) لمن أراد أن يقهر نفسه الغضبية ان يذكر أوقات غضبه على من يؤذيه أو يجنى عليه انه لو كان هو الجانى ما الذى كان يستحق على جنايته فانه بهذا الفعل يعتقد انّ درك تلك الجناية أوارش ذلك الاذى يسير جداً فاذا اعتقد ذلك كانت مقابلته للجانى والمؤذى بحسب اعتقاده فلا يسرف فى الانتقام ولا يفحش فى الغضب فاذا فعل ذلك دائما وجعله ديدنا وتفقد معائب السفهاء ومن يسرع اليه الغضب ... أن تنكسر نفسه الغضبية وتنقاد له فاذا استمر على ذلك مدة صار خلقاً وعادة . (وينبغي) لمن يرغب فى تذليل نفسه

الغضبية أن يتجنب حمل السلاح وحضور مواضع الحروب ومقامات الفتن ومجالسة الاشرار ومعاشرة السفهاء ومخالطة الشرط فان هذه المواضع تكسب القلب قساوة وغلظة وتمحو الرأفة والرحمة فتقسو لذلك نفسه الغضبية فاذا كان يريد تذليلها وتسكينها وجب أن يجعل مجالسته لاهل العلم وذوى الوقار والشيوخ والرؤساء والافاضل ومن يقل غضبه ويكثر حلمه ووقاره (وينبغي) له أيضاً أن يتجنب السكر من الشراب فان السكر يهيج النفس الغضبية أكثر مما يهيج الشهوانية وبذلك ربما يسرع الى العربدة والوثوب على جلسائه والاستخفاف بهم وسبهم وذكر أعراضهم بعد ان كان يتحنن عليهم ويتودد اليهم ولا يكون بين الوقتين الا بمقدار ما يستحكم عليه السكر فالسكر مثير للقوة الغضبية ومقوّ لها فمن أراد أن تسكن نفسه الغضبية فلا بد أن يتجنب السكر وان تمكن من هجران الشراب البتة فهو أصلح لقهر النفس الغضبية والشهوانية جميعاً (وينبغى) لمن أراد تذليل قوته الغضبية والشهوانية أن يستعمل في جميع ما يفعله الفكر ولا يقدم على الشئ الا بعد أن يتروى فيه ويجعل الفكرة واتباع الرأى ديدنه وعادته فان

الرأي وجودة الفكر يقبحان له السفه وسرعة الغضب والانهماك في الشهوات واتباع اللذات فاذا استقبح ذلك أحجم عنه وعدل الى ما يقتضيه الرأى والفكر وان لم يرتدع بالكلية فلا بد أن يؤثر ذلك فيه فيقصر عما يريد الشروع فيه وملاك الامر في تهذيب الاخلاق وضبط النفس الشهوانية والنفس الغضبية هي تقوية النفس الناطقة فان بهذه النفس تكون جميع السياسات وهذه النفس اذا قويت متمكنة من صاحبها أمكنه أن يسوس بها قوتيه الباقيتين ويكف نفسه عن جميع القبائح ويتبع أبداً مكارم الاخلاق واذا لم تكن هذه النفس قوية في صاحبها وكانت مقهورة خافتة فأول ماينبغي أن يعتمده في سياسة أخلاقه أن يروض هذه ويقويها وتقوية هذه النفس انما يكون بالعلوم العقلية فانه اذا نظر في العلوم العقلية ودقق النظر فيها ودرس كتب الاخلاق والسياسة وداوم عليها تيقظت نفسه وتنبهت وانتعشت من خمولها وأحست بفضائلها وانفت من رذائلها وذلك ان هذه انما تضعف وتخفت اذا عدمت الفضائل والمناقب واستولت عليها الرذائل فاذا اقتنت الفضائل واكتسبت الآداب تيقظت من غشيتها وثارت من سكرتها

وقويت بعد ضعفها وفضائلُ هذه النفس هي العلوم العقليـة
وخاصةً مادق منها فاذا ارتاض الانسان بالعلوم العقلية شرفت
نفسه وعظمت همتـه وقويت فكرته وتمكن من نفسه وتملك
أخلاقه وقدر على اصلاحها وانقاد له طبعه وسهل عليه تهذيبه
واذعنت له القوة الغضبية والشهوانية وهان عليه قمها وتذليلها
فأول ما ينبغي أن يبتدئ به من يحب سياسـة أخلاقه النظر
في كتب الاخلاق والسياسة ثم الارتياض بعلوم الحقائق فان
أشرف ماتكون النفس إذا ادركت حقائق الامور وأشرفت
على هيئات الموجودات واذا شرفت نفس الانسان وعلت
همتـه ترق الى مراتب أهـل الفضل ومما يصلح النفس
الناطقة ويقويها أيضاً مجالسة اهل العلم ومخالطتهم والاقتـداء
باخلاقهم وعاداتهم وخاصة اصحاب علوم الحقائق والمتيقظين
منهم المستعملين في جميع أمورهم ما تقتضيـه علومهم وتوجبه
عقولهم فاما تمييز عادات النفس الناطقة واستعمال ما حسن
منها واطراح ماقبح فذلك انما يمكن ويسهل أيضاً اذا
راض نفسه الناطقة فان النفس الناطقه اذا ارتاضت بالعلوم
الحقيقيـة وتيقظت وشرفت انفت من العادات المستقبحة

وتنزهت عن التدنس بها فيهون حينئذ على صاحبها تجنب ما
يكره من عاداتها ويتغلب عليه استحسان الأخلاق الجميلة
والتخلق بها وقد تبين من جميع ماذكرنا ان طريق الارتياض
بالاخلاق المحمودة المرضى منها والتصنع لاعتيادها واتباع
المحمود المرضى منها واجتناب المذموم والمستقبح وتذليل قوة
الشهوة الغضبية وضبطها وقهرها هو اصلاح النفس الناطقة
وتقويتها وتحليتها بالفضائل والآداب والمحاسن فان ذلك هو آلة
السياسة ومركب الرياضة ومن لم يتمكن من اكتساب العلوم
العقلية والامعان فيها أو تعذر عليه ذلك فليبذل جهده في تدقيق
الفكر ومجاهدة النفس وتمييز ما بين عاداته القبيحة والجميلة
وينظر أيها أجدى عليه وأيها أنفع له وأيها أحمد عاقبة وأبقى على
الايام فانه اذا صدق نفسه وجد شهواته ولذاته انما هي ملذة وقت
استعمالها فقط فاما بعد مفارقتها فليست باقية عليه ولا نافعة له
ويجد عارها وشينها باقياً على الدهر متداولا بين الناس يعاب به
ويزرى عليه بقبحه وكذلك شدة الغضب والتسرع الى الانتقام
والسب والفحش فانه اذا انجلت غمرته وسكنت [illegible]
وتأمل أمر مافعله وجده قبيحاً ولم يجده مجديا ولا مفيدا

وقد صار مافعله عند الغضب نقيصة يوسم بها ومعرة يسب بها وربما ارتكب في الغضب جنايات يعاقب عليها ويؤدب من أجلها وكذلك العادات المكروهة من عادات النفس الناطقة أيضاً يجدها غير نافعة ولا مجدية وذلك ان الحسد والحقد والخبث وأمثال هذه لا ينتفع بها صاحبها وان انتفع بالخبث والشر فنزر منفعة ومع ذلك هو ضار له فان من تشرر قصده الناس واستعدوا لاذيته وتصدوا للاضرار به وتوقوه واحترزوا منه وكرهوا نفعه وقصروا وجوه الخير عنه واجتهدوا في ذلك وما أسوأ حال من هذه صفته فستعمل الشر والخبث سيئ الحال يضره شره أكثر مما ينفعه فاذا حاسب الانسان نفسه وأجال فكره وتمييزه علم أن الضرر في مساوى الاخلاق أكثر من النفع وان الذى يمده منها نفعاً ليس هو بنفع على الحقيقة وهو يسير جداً غير باق ولا مستمر فان هذا اليسير الذي يعده نفعاً لا يفي بالضرر الكثير والعار الدائم المتصل ويعلم أيضاً أن الشر والخبث يجلبان عليه الشر ويوحشان منه الناس فاذا أدام ذلك وأكثر منه قوى في نفسه اتباع محاسن الاخلاق وسهل عليه اطراح مساويها

ومقابحها وغلب عليه الخير والسداد وفرغ من العيب والعار فاذا فعل ذلك دائما لم يلبث أن يصلح أخلاقه ويحسن طريقته ويهذب شمائله ويلحق برتبة أهل الفضل ويتميز عن أهل الدنس والنقص (وينبغى) لمن أراد سياسة أخلاقه أن يجعل غرضه من كل فضيلة غايتها ونهايتها ولا يقنع منها بما دون الغاية ولا يرضى الا بأعلى درجة فانه اذا جعل ذلك غرضه كان حرياً أن يتوسط فى الفضائل ويبلغ منها رتبة مرضية ان فاتته الدرجة العالية فاما ان قنع بالتوسط لم يأمن ان يقصر عن بلوغه فيبقى فى أدون المراتب ويفوته المطلوب قد يطمع أبداً فى التمام فهذا الذى ذكرنا هو طريق الارتياض بمكارم الاخلاق ومنهج التدرج فى محمود العادات فاذا أخذ الانسان نفسه به وأكثر مراعاته وتعهده صار له أمر الفضائل ديدنا والمحاسن له خلقاً وطبعاً وقد بقي علينا أن نذكر أوصاف الانسان التام الجامع لمحاسن الاخلاق وطريقته التى بها يصل الى التمام (فنقول) الانسان التام هو الذي لم تفته فضيلة ولم تشنه رذيلة وهذا الحد قلما ينتهى اليه انسان واذا انتهى الانسان الى هذا الحد كان بالملائكة أشبه منه بالناس فان الانسان مضروب

بانواع النقص مستول عليه وعلى طبعه ضروب الشر فقلما
يخلص من جميعها حتى تسلم نفسه من كل عيب ومنقصة
ويحيط بكل فضيلة ومنقبة الا ان التمام وان كان عزيزاً بعيد
التناول فانه ممكن وهو غاية ماينتهى اليه الانسان ونهاية ماهو
منتهي له واذا صدقت عزيمة الانسان وأعطى الاجتهاد حقه
كان قمينا بان ينتهى الى غايته التي هي منتهى له ويصل الى بغيته
التي تسمو نفسه اليها (فاما) تفصيل أوصاف الانسان التام فهو
أن يكون متفقدا لجميع أخلاقه متيقظا لجميع معايبه متحرزاً من
دخول كل نقص عليه مستعملا لكل فضيلة مجتهداً في بلوغ
الغاية عاشقا لصورة الكمال ملتذاً بمحاسن الاخلاق متيقظاً
لمذموم العادات معتنياً بتهذيب نفسه غير مستكثر ما يقتنيه
من الفضائل مستعظما لليسير من الرذائل مستصغراً الرتبة العليا
مستحقراً الغاية القصوى يرى التمام دون محله والكمال أقل
أوصافه فاما الطريقة التى توصله الى التمام وتحفظ عليه الكمال
فهى أن يصرف عنايته الي النظر في العلوم الحقيقية ويجعل
غرضه الاحاطة بماهيات الامور الموجودة وكشف عللها
وأسبابها وتفقد غاياتها ونهاياتها ولا يقف عند غاية من علمه

الاورنا بطرفه الى ما فوق تلك الغاية ويجعل شعاره ليله ونهاره
قراءة كتب الاخلاق وتصفح كتب السير والسياسات
وأخذ نفسه باستعمال ما أمر أهل الفضل باستعماله وأشار
المتقدمون من الحكماء باعتياده وينشدوا أيضا طرفا من أدب
البيان والبلاغة ويتحلى بشئ من الفصاحة والخطابة ويغشى
أبداً مجالس أهل العلم والحكمة ويباشر دائما أهل الوقار والعفة
هذا ان كان رعية وسوقة فان كان ملكا ورئيسا فينبغي أن
يجعل جلساءه ومناديمه وغاشيته والمطيفين به كل من كان
معروفا بالخير والسداد موصوفا بالادب والوقار مخصصاً بالعلم
والحكمة محققاً بالفهم والفطنة ويقرب مجالس أهل العلم
وينشطهم ويكثر مجالستهم والانس بهم ويجعل تفرجه وتفكهه
مذاكرتهم في العلم وفنونه وسياسة الملك ورسومه وأخبار
الحكماء وأخلاقهم وسير الملوك الاخيار وعاداتهم (وينبغي)
للانسان التام ولمن طلب طريقته التي بها يصل الى التمام أن
يجعل لشهواته ولذاته قانونا راتبا يقصد فيه الاعتدال ويجتنب
السرف والافراط ويعتمد من الشهوات واللذات المعتدلة
ما كان من الوجوه المرتضاة المستحسنة ويأخذ نفسه بذلك

ويحض عليها الطبع ويهجر أصحاب اللذات ومعاشرتهم وينقبض
عن الخلفاء ومخالطتهم ويشعر نفسه ان الشهوة عدو مكاشح
وخصم مكافح يريد أبداً ضرره وأذيته ويعتمد شينه وفضيحته
فيناصب شهوته بالعداوة ويكاشفها بالمعاندة ويقمع أبداً سورتها
ويكسر دائما حدتها ويقهر سطوتها ويذلل على التدريج عزتها
ويسكن على الترتيب فورتها فانه اذا فعل ذلك كان خليقاً ان
يملك نفسه وتنقاد له شهوته وتنطبع بالعفة وتألف حسن السيرة
ومتى أرخى لشهوته عنانها وسمح لها في مرادها واهمل سياستها
ومراعاتها استطالت وشمخت ولم تلبث أن توهن صاحبها
وتقوده وتحمله على ما يسوءه ويعره فيصير بذلك بعيداً من
التمام غير طامع في الكمال (وينبغي) لمن يطلب التمام أن يعلم
انه لا سبيل له الى بلوغ غرضه ما دامت اللذة عنده مستحسنة
والشهوة مستحبة وهذه الحال صعبة جداً متعسرة على طالبها
بعيدة المأخذ وهي على الملوك والرؤساء أصعب وأبعد لان
الملوك والرؤساء أقدر على اللذات وأشد تمكنا والشهوات
واللذات لديهم معروضة ولهم سجية وعادة ففارقتها عليهم متعذرة
واعراضهم عنها كالشيء الممتنع خاصة لمن قد نشأ على الانهماك

فيها والتوفر عليها الا أن الملوك وان كانوا أقدر على اللذات وأكثر اعتيادا لها فهم أعظم همماً واعز نفوسا والمحصل منهم اذا سمت نفسه الى التمام الانسانى واشتاقت الى الرياسة الحقيقية علم ان الملك أحق أن يكون أتم أهل زمانه وأفضل أعوانه ورعيته فيهون عليه مفارقة الشهوات وهجر اللذات الدنية (وينبغي) لمن رغب فى سياسة أخلاقه وسلك طريق الاعتدال في الشهوات أن يجعل قانونا يقتصر عليه فى المآكل والمشارب مقرونا بالكرم وهو أن لا يستبد بالمأكل والمشرب وحده بل يقصد أن يشرك فى ماله من ذلك اخوانه وأوداءه ان كان رعية وسوقة وان كان ملكا رئيسا فيجمع عليه غاشيته وندماءه ويعم به أصحابه واعوانه ويتفقد بفضلاته أهل الفقر والمسكنة وخاصة من سبقت له معرفة به أو تقدمت له خدمة فيصرف الى حاجاتهم من عنايته فان اعتداد هؤلاء بما يصل اليهم من بره أكثر من اعتداد حاشيته وأصحابه وليظهر لمن يجتمع على مائدته وعلى طعامه وشرابه من اخوانه وأصدقائه ورعيته وندمائه وان كان ملكا ان جمعه لهم للانس بهم والسرور بمعاشرتهم لا ليكرمهم بطعامه وشرابه ولا ان لذلك قدراً يرتقبه

به ويحترز كل الاحتراز من أن يبدو منه امتنان بالطعام والشراب أو تبجح به فان ذلك يزرى بفاعله ويغض منه ويوحش من يغشاه ويقطعهم عنه وقد يستحسن من الانسان أيضاً اذا كان مقلا ان يواسى بطعامه اخوانه وان كان محتاجا اليه ويستحسن منه أيضاً ان يواسى به الفقراء والضعفاء وقد يستحسن منه أيضاً أكثر من ذلك بان يؤثر الانسان بطعامه وشرابه غيره وان كان شديد الإضطرار اليه وكان لا يقدر على غيره (وينبغي) أيضاً لمن طلب السياسة التامة ان يستهين بالمال ويحتقره وينظر اليه بالعين التى يستحقها فان المال انما يراد لغيره وليس هو مطلوبا لذاته فانه في نفسه غير نافع وانما الانتفاع بالاغراض التى تنال به فالمال آلة تنال بها الاغراض فلا يجب أن يعتقد ان اقتناءه وادخاره مفيد فاذا أدخر وحرص عليه لم ينل صاحبه شيئاً من الاغراض التى هو بالحقيقة محتاج اليها فالمال هو مطلوب لغيره فينبغى للسديد الرأي العالى الهمة ان يزنه بوزنه فيكسبه من وجهه ويفرقه فى وجهه ويكون مع ذلك غير متوان فى اكتسابه ولا مقدم في طلبه لان عدم المال يضطره الى التواضع لمن هو دونه اذا وجد عنده حاجته ووجود المال يغنيه عن

من هو فوقه وان دنت منزلته ويكون أيضاً غير مدخره ولا
متمسك به بل يصرفه في حاجاته وينفقه في مهماته ويقصد
الاعتدال في تفريقه ويحذر من السرف والتبذير في تخريجه ولا
يمنع حقا يجب عليه ولا يصرفه في شئ لا يجب ولا يشكر عليه
واذا فرغ من حاجته واستكفى من نفقاته وسد خاله عاد الى
النظر في أمره فان كان بقي من ماله بقية فاضلة عن مهم اغراضه
اخرج منها قسطا فجعله عنده يستظهر به لشدة ويعده لنائبة ثم
عمد الى الباقي وفرقه في ذوى الحاجة من أهله واقاربه واخوانه
وأهل مودته وجعل فيه قسطا للضعفاء والمساكين وأهل
الفاقة المستورين وجعل اهتمامه بافضاله وبره أكثر من اهتمامه
بضروراته فان الضرورات تقوده كرها اليها وأكثر النوافل
متى لم يهم بها ويشعر نفسه الزامها لم يسهل عليه فعلها لان ضعف
النفس وسوء الظن يصرفانه عنها وان لم يكن له جاذب من نفسه
وداع قوي من همته لم يقدم عليها وغلب عليه التواني فاذا
توانى عن البر والفضل كان شحيحا دنيا وليس بتام بل ليس
بالحقيقة انسانا من لم يكن له بر يعرف ولم تنتشر عنه افعال توصف
هذا ان كان من أوساط الناس فاما الملوك والرؤساء فانهم أحق

بهذه السياسة ويجب أن يكونوا بذلك أشد عناية فيجبوا الاموال
من حقها وواجبها ويصرفوا منها في نفقاتهم ومؤناتهم وأرزاق
جندهم وأصحابهم قدر الكفاية من غير سرف ولا تقتير ويعدوا منها
شطراً الخوف عاقبة ويصرفوا الباقي في طريق الكرم والجود
ووجوه الخير والبر فيعطوا أهل العلم على طبقاتهم ويجعلوا لهم
رواتب من خواص أموالهم ويدفعوا لمن هو مثابر على العلم
والادب ويبر الضعفاء والمساكين ويتفقدوا الغرباء ويهتموا بالزهاد
وأهل النسك ويخصوهم بقسط من أفضالهم وانعامهم ويعتنوا
بالصغير والكبير وينفقوا في مصالحهم شطرا من أموالهم فان الملوك
أولى بالكرم من الرعية وأحق بالجود من العامة وقد يستحسن
أيضاً من المقلين والمقترين المواساة بالمال والايثار به وان كانوا
محتاجين اليه وكلما كانت حاجتهم أشد كان ذلك الفعل حسنا وهذه
الحال مستحسنة اذا رأى الرجل أخا من اخوانه أو صديقا يختص
به وقد دعته الحاجة الى ما لا يقدر عليه لاصلاح شئ من شأنه
أو لدفع محنة نزلت به وكان هو قادراً على ذلك القدر من المال
فيبتدي باسعافه عفواً من غير مسئلة وان فعل هذا الفعل مع
الغريب الذي لا يعرفه ولم تسبق له حرمة ولا مودة كان جميلا

مستحسنا (وينبغى) لمحب الكمال ان يشعر نفسه ان الغضبان
بمنزلة البهائم والسباع يفعل مايفعله من غير علم ولا روية فاذا
جرى بينه وبين غيره محاورة أدت الى أن يغضب خصمه
ويسفه عليه اعتقد فيه انه فى تلك الحالة بمنزلة البهائم
والسباع فيمسك عن مقابلته ويحجم عن الاقتصاص منه الا
يعلم أن الكلب لو نبح عليه لم يكن يستحسن مقابلته
على نبحه وكذلك البهيمة لو رمحته لم يستحسن عقوبتها لانها
غير عالمة بما تصنعه الا أن يكون جاهلا فان من السفهاء من
يغضب على البهيمة اذا رمحته ويوجعها ضربا اذ آذته وربما عثر
السفيه فشتم موضع عثرته ورفصه برجله فاما الحليم الوقور
فلا يستحسن شيئا من ذلك واذا استشعر في خصمه انه بمنزلة
البهائم صار هذا الاستشعار منه طريقا الى ضبط النفس
الغضبية وزمها وإن أذاه مؤذن بغير سفه فيؤدي ذلك الاذى
الى حال يغضبه انف أيضاً من الغضب مع استشعاره ان
الغضبان والبهيمة سواء فيعدل حينئذ الى مقابلة مؤذيه بما
تقتضيه الرأى من حيث لايظهر فيه غضب ولاسفه (وينبغى)
لمحب الكمال أيضا أن يعود نفسه محبة الناس أجمع والتودد

اليهم والتحنن عليهم والرأفة والرحمة بهم فان الناس قبيل واحد
متناسبون تجمعهم الانسانية وحلية القوة الالهية هي في جميعهم
وفى كل واحد منهم وهى النفس العاقلة وبهذه النفس صار
الانسان انسانا وهي أشرف جزئي الانسان اللذين هما النفس
والجسد والانسان بالحقيقة هي النفس العاقلة وهي جوهر
واحد في جميع الناس وكلهم بالحقيقة شيء واحد والاشخاص
كثيرون واذا كانت نفوسهم واحدة والمودة انما تكون
بالنفس فواجب أن يكونوا كلهم متحابين متوادين وذلك فى
الناس طبيعة لولم تقدهم النفس الغضبية فان هذه النفس تحبب
لصاحبها الترأس فتقود صاحبها الى الكبر والاعجاب والتسلط
على المستضعف واستحقار الصغير وحسد الغني وذي الفضل
فتنشأ من أجل هذه الاسباب العداوات وتتأكد البغضاء
بينهم فاذا ضبط الانسان نفسه الغضبية وانقاد لنفسه العاقلة
صار الناس كلهم له أحبابا واخوانا واذا أعمل الانسان فكره
رأي ذلك واجبا لأن الناس أما ان يكونوا فضلا أو انقصاء
فالفضلاء تجب عليه محبتهم لموضع فضلهم والنقصاء تجب عليه
رحمتهم لموضع نقصهم فيحق لمحب الكمال ان يكون محبا لجميع

الناس متحننا عليهم رؤوفا بهم وخاصة الملك والرئيس فان الملك
ليس يكون ملكا مالم يكن محباً لرعيته رؤفا بهم وذلك أن الملك
ورعيته بمنزلة رب الدار وأهل داره وما أقبح رب الدار
أن يبغض أهل داره ولا يتحنن عليهم ويحب مصالحهم (وينبغي)
لمحب الكمال أن يجعل همته فعل الخير مع جميع الناس وانفاق
ما يفضل من ماله فيما يبقى له الذكر الجميل بعد موته ويحرز
من فعل الشر فانه اذا حاسب نفسه علم ان من فعل الشر فانه
يفعله لخير ليعتقد انه يصل اليه وربما كان غالطاً واذا علم ان الامر
على هذه الصفة كان واجبا عليه أن يطلب الخير الذي يرومه
من طريق غير طريق التشرر اذ كان هو الغرض المطلوب
لا فعل الشر فاما ان كان تشرره يلحقه أسفا وغيظاً فليعلم
انه اذا سكن غيظه وجد ذلك المقصود بالشر غير مستحق لذلك
الفعل ففعل الشر قبيح وخاصة بمن قد جمع الفضائل الا انه
يكون ذلك الشر تأديبا على جرم واقتصاصا من جان فان هذه
الحال مستحبة محمودة بل لا يعد شراً لان ذلك الشر انما يصل
الى الجاني فقط ويكون منه نفع عام لجميع الناس بان يرتدع
أمثاله من الجناة وتكون المنفعة فيه أكثر فمن أجل ذلك

لا يعد شراً واذا اعتمد الانسان فعل الخير والفه وتجنب الشر
واستوحش منه أنف من الاخلاق المكروهة التى تعد شراً
كالحسد والحقد والخبث والخديعة والنميمة والغيبة والوقيعة
وأمثال هذه العادات واذا فكر العاقل المحصل فيها علم انها غير
مجدية عليه نفعاً وهي مع ذلك تشينه وتقبح صورته واذا كان
محبا للتمام مستشعراً للكمال كان واجبا عليه تجنب هذه الاخلاق
(وينبغى) لمحب الكمال أن يعتقد انه ليس شيءٌ من العيوب
والقبائح خافياً عن الناس وان اجتهد صاحبها في سترها فلا
يطمع نفسه في ارتكاب فعل قبيح يظن أنه ينكتم عن الناس
حتى لا يقف عليه أحد ويجب أن يعلم ان الناس بالطبع
موكلون بتتبع عيوب الناس وتعييرهم بها وذلك في الناس
غريزة والسبب فيه ان الانسان مالم يبلغ التمام فليس يخلوا من
تقصير يعاب به ويسوءه ان يكون غيره أفضل منه فهو يسر
أن يكون الناس كلهم نقصاء ليساووه في النقص ويخلوا دونه
فهو أبداً يتتبع معائب الناس ويعيرهم بها ليرى الناس انه أفضل
ممن فيه ذلك العيب ويشعر نفسه أيضاً ذلك لتطيب عافيها من
العيوب فليس شيءٌ من العيوب يخاف عن الناس وان اجتهد

ستره وقد يظن كثير من الملوك والرؤساء أن عيوبهم مستورة عن الناس غير بادية وذلك لموضع هيبتهم وعظم سطوتهم يستشعرون ان حاشيتهم وخواصهم لا يجسرون على أظهار أسرارهم ان وقفوا على شيء منها وهذا نهاية الغلط لان خواص الملك وحاشيته كما انهم عنده ثقات أمناء كذلك لكل واحد منهم خاص وثقة يخرج اليه بأسراره والذي لا يستر أسرار نفسه فمحال أن يستر عنه أسراره غيره وهذا الحال طريقة الى انتشار معائب الملوك الذين يظنون إنها مستورة والعلة فى ظنهم انها مستورة هو انهم لا يسمعون أحداً يذكرها ولا أحداً يتفصح اليهم بها فيظنون إنها خفية. فاذا أحب الانسان أن يعلم أن عيوبه غير خافية فليعد إلى نفسه ولينظر هل يعرف لأحد عيباً كان يستره ويخفيه فانه يجد للناس عنده عيوباً كثيرة قد اجتهدوا في سترها وحرصوا على صونها . ومنهم من يظن انها خفية ومنهم من يعلم انها قد انتشرت بعد الستر فاذا علم انه عارف بأسرار كثير من الناس كانت مستورة فمن الواجب أن يعتقد أن عيبه غير خاف ولا منكتم وان الناس يعرفون من عيوبه أكثر مما يعرف من عيوبهم (فينبغى)

لمحب الكمال أن يعتقد أن عيوبه ظاهرة وان اجتهد في
اخفائها وليس بتام من عرف له عيب ولا طريق الى التمام
الا باجتناب العيوب بالكلية والتمسك بالفضائل في سائر
الأمور وهذه الرتبة غاية تمام الانسانية ونهاية الفضيلة البشرية
وواجب على كل انسان الاجتهاد في بلوغها واستفراغ الوسع
في الوصول اليها لان التمام مطلوب لذاته والنقص مكروه
لعينه • وأحق الناس بطلب هذه الرتبة وأولاهم بالتحمل لبلوغ
هذه المنزلة الملوك والرؤساء وأشراف الناس وأعظمهم قدراً
وما أقبح بالشريف العظيم ان يكون ناقصاً فالملوك اذاً ينبغي
أن يكونوا أشد الناس حرصاً على بلوغ الكمال لان الكامل
من الناس الجامع للفضائل مترتب بالطبع على الناقص من
الناس فالانسان التام رئيس بالطبع واذا كان الملك تاما جامعاً
لمحاسن الاخلاق محيطاً بجميع المناقب كان ملكا بالطبع واذا
كان ناقصا كان ملكا بالقهر • وما أولى بالملك أن يرغب في
الرياسة الحقيقية التي لا تكون بالقهر والشرف الذاتي لاما هو
بالوضع فالواجب أن يصرف الملك همته الى اكتساب
الفضائل واقتناء المحاسن ويطلب الغاية في المكارم ويستصغر

الكبير منها حتى يحوز جميعها ولا يرضى بالنهاية حتى يزيد عليها فانه ان رضي برتبة فوقها رتبة لم يصل أبداً الى التمام . وان أبعد الناس من التمام من رضى لنفسه بالنقصان فاذا طلب الملك الكمال فأول ما يجب أن يعتاد عظم الهمة فان عظم الهمة يصغر في عينه كل رذيلة ويحسن له كل فضيلة . واذا عظمت همة الملك سلم من الاعجاب بملكه ورأي نفسه وهمته أعظم قدراً من أن يستكبر ذلك الملك . واذا إحتقر الملك ملكه الذى به عزه وعظمته طلب لنفسه ما يعظمها بالحقيقة . وليس يعظم النفس الا الفضائل . (ثم) ينبغي له أن يكره الملق ويبغض المتملقين وينهاهم عن تلقيه به . وملاك أمره أن يتعرف عيوبه حتى يمكنه توقيها والتحرز منها وهذا في الملوك صعب لان الانسان بالطبع يخفى عليه كثير من عيوبه . فالذى يخفى على الملوك أكثر لاعجابهم بمحاسنهم وعظم مرتبتهم . وأيضاً فان الرعية والسوقة يبكتون بعيوبهم ويعيرون بها فهم يعرفونها والملوك لا يجسر أحد على تبكيتهم فلا يقدم أحد على تبكيتهم على عيوبهم لان الناس أجمع يقصدون التقرب الى الملوك بملقهم فلا يقولون لهم الا ما يحبون لينالوا الحظوة عندهم .

فعيوب الملوك أبداً خفية عنهم . (وينبغي) للملك اذا أحب
أن يتنزه من العيوب ويتطهر من دنسها أن يتقدم الى خواصه
وثقاته ومن كان يسكن الى عقله وفطنته من خدمه وحاشيته
فيأمرهم أن يتفقدوا عيوبه ونقائصه ويطلعوه عليها ويعلموه
بها (وينبغي) له أيضاً أن يتلقى من يهدي اليه شيئاً من عيوبه
بالبشر والقبول ويظهر له الفرح والسرور بما أطلعه عليه بل
المستحسن منه أن يجيز الذي يوقفه على عيوبه أكثر مما يجيز
المادح له على نقصه ويتحمل لومته على فعله فانه اذا لزم هذه
الطريقة وعرف بها أسرع أصحابه وخواصه الى تنبيهه على
عيوبه واذا نبه على ما فيه من النقص أنف منه واستشعر أولا
أن سيعرونه به ويصغرونه من أجله ويلزمه حينئذ أن يأخذ
نفسه بالتنزه من العيوب ويقهرها على التخلص من دنسها
فاذا فعل ذلك وتوفر على اقتناء الفضائل والزم نفسه التخلق
بالمحاسن ولم يرض من منقبة الا بغايتها ولم يقف واجتهد فيما
يحسن سياسة نفسه عاجلا ويبقي له الذكر الجميل آجلا لم يلبث
أن يبلغ الغاية من التمام ويرتقي الى النهاية من الكمال فيحوز
السعادة والانسانية والرياسة الحقيقية ويبقي له حسن الثناء

مؤبداً وجميل الذكر مخلداً فقد أتينا على صفة الانسان التام الجامع لمحاسن الاخلاق والطريق التى تؤديه الى هذه الرتبة وتحفظ عليه هذه المنزلة وقدمنا ما يجب تقديمه من سياسة الاخلاق وتهذيب النفوس فما أولى من نظر في هذا القول وتصفحه وفهم مضمونه وتدبره أن يأخذ نفسه باستعمال ما بين فصوله ويسوس أخلاقه مما يتطرق الى الذي قنن في تضاعيفه ويجتهد كل الاجتهاد في تكميل نفسه ويستغرق غاية الوسع في طلب تمامه فما أقبح النقص بالقادر على التمام والعجز من المستعد لنيل الكمال وهذا حين نختم القول بتهذيب الاخلاق والحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه ٠